

## السرايا والبعوث

قال ابن جرير في تاريخ الرسل والملوك ج ٣: [واختلف في عدد سراياه ﷺ، حدثنا محمد بن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه - فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله - خمساً وثلاثين بعثاً وسرية<sup>(١)</sup>].

- سرية (عبيدة بن الحارث) إلى أحياء من ثنية المَرّة، وهو ماء بالحجاز.

- غزوة (حمزة بن عبد المطلب) إلى ساحل البحر، من ناحية العيص - وبعض الناس يقدم غزوة (حمزة) قبل غزوة (عبيدة).

- غزوة (سعد بن أبي وقاص) إلى الخَرَار من أرض الحجاز.

- غزوة (عبد الله بن جحش) إلى نخلة.

- غزوة (زيد بن حارثة) القَرْدَة؛ ماء من مياه نجد.

- غزوة (مرثد بن أبي مرثد الغنوي) الرّجيع.

- غزوة (المنذر بن عمرو) بئر معونة.

- غزوة (أبي عبيدة بن الجراح) إلى ذي القَصّة، من طريق العراق.

---

(١) ابن هشام من رواية البكائي عن ابن إسحاق: «ثمانياً وثلاثين، من بين بعث وسرية» انظر تاريخ الطبري.

- غزوة (عمر بن الخطاب) تُرَبَّة من أرض بني عامر.
- غزوة (علي بن أبي طالب) اليمن.
- غزوة (غالب بن عبد الله الكلبي) - كلب ليث - الكَدِيد، وأصاب بِلْمَلُوح.
- غزوة (علي بن أبي طالب) إلى بني «عبد الله بن سعد» من أهل فَدَك.
- غزوة (أبي العوجاء المُلَمِّي) أرض بني «سُلَيْم»، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً.
- غزوة (عكاشة بن مِخْصَن) العَمْرَة.
- غزوة (أبي سلمة بن عبد الأسد) قَطْنًا؛ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد، قُتِلَ فيها «مسعود بن عروة».
- غزوة (محمد بن مسلمة)؛ أخي بني الحارث إلى القُرْطَاء من هَوَازِن.
- غزوة (بشير بن سعد) إلى بني مُرَّة بِفَدَك.
- غزوة (بشير بن سعد) أيضاً إلى يُمَن وَجَنَاب؛ بلد من أرض خيبر - وقيل: يُمَن وَجَبَّار، أرض من أرض خيبر.
- غزوة (زيد بن حارثة) الجَمُوم؛ من أرض بني سُلَيْم.
- غزوة (زيد بن حارثة) أيضاً، جُدَام من أرض حِمْي.
- غزوة (زيد بن حارثة) أيضاً وادي القَرَى، لَقِي بني فزارة.
- غزوة (عبد الله بن رواحة) خيبر مرتين، إحداهما التي أصاب فيها «يُسَيْرَ بن رَزَام»، وكان من حديث «يُسَيْرَ بن رزام» اليهودي أنه كان بخيبر يجمع «غَطْفَانَ» لغزو رسول الله ﷺ، فبعث إليه رسول الله ﷺ (عبد الله بن رواحة) في نفر من أصحابه؛ منهم «عبد الله بن أنيس» حليف «بني سَلَمَة»،

فلما قدموا عليه كلموه، وواعدوه، وقربوا له: إنك إن قدمت على رسول الله ﷺ استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفر من يهود، فحملة «عبد الله بن أنيس» على بعيره ورفه، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال، ندم «يسير بن رزام» على سيره إلى رسول الله ﷺ، ففطن له «عبد الله بن أنيس» وهو يريد السيف، فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله، وضربه «يسير» بمخرش<sup>(١)</sup> في يده من شوخط<sup>(٢)</sup>، فأمه<sup>(٣)</sup> في رأسه، وقتل الله «يسير»، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته، فلما قدم «عبد الله بن أنيس» على رسول الله ﷺ تفل على شجته فلم تقح ولم تؤذه.

- غزوة (عبد الله بن عتيك) إلى خيبر، فأصاب بها «أبا رافع»، وقد كان رسول الله ﷺ بعث (محمد بن مسلمة) وأصحابه - فيما بين (بدر) و(أحد) - إلى «كعب بن الأشرف» فقتلوه.

- بعث رسول الله ﷺ (عبد الله بن أنيس) إلى «خالد بن سفیان بن نبيح الهذلي» - وهو بنخلة أو بعرنة يجمع لرسول الله ﷺ ليغزوه فقتله.

- غزوة (زيد بن حارثة)، و(جعفر بن أبي طالب) و(عبد الله بن رواحة) إلى «مؤتة» من أرض الشام.

- غزوة (كعب بن عمير الغفاري) بذات أطلاق من أرض الشام، فأصيب بها هو وأصحابه.

- غزوة (عيينة بن حصن بني العنبر) من بني تميم؛ وكان من حديثهم أن رسول الله ﷺ بعثه إليهم، فأغار عليهم، فأصاب منهم ناساً، وسبى منهم سبياً.

(١) المخرش: المحجن.

(٢) الشرحط: شجر النبع.

(٣) أمه: جرحه في أم رأسه.

- غزوة (غالب بن عبد الله الكلبي) - كلب ليث - أرض بني مُرّة؛ فأصاب بها «مرداس بن نهيك» حليفاً لهم من الحرقة من جهينة، قتله «أسامة بن زيد» ورجل من الأنصار، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ لأسامة: مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

- غزوة (عمرو بن العاص) ذات السلاسل.

- غزوة (ابن أبي حدرد) وأصحابه إلى بطن (إِصْم).

- غزوة (ابن أبي حدرد) الأسلمي إلى الغابة.

- غزوة (عبد الرحمن بن عوف).

- بعث سرية إلى سيف البحر، وعليهم (أبو عبيدة بن الجراح) وهي غزوة الخبط.

وروي عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم، قال: سمعت منه أن رسول الله ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وحجَّ بعدما هاجر حجة، لم يحج غير حجة الوداع. وذكر ابن إسحاق حجة بمكة<sup>(١)</sup>.

قال أبو إسحاق. فسألت زيد بن أرقم: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة.

وروي عن مكحول في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد. قال: أخبرنا ابن عمر، قال: حدثني سويد بن عبد العزيز، عن النعمان بن المنذر، عن مكحول، قال: غزا رسول الله ﷺ ثماني عشرة غزوة؛ قاتل من ذلك في ثمان غزوات، أولهن بدرٌ وأحدٌ والأحزابُ وقريظة. قال الواقدي: فهذان الحديثان، حديث زيد بن الأرقم، وحديث مكحول جميعاً غلط.

وسنُفَّصِلُ القول في الغزوات والسرايا بعد أن نعلم كيف قوي

(١) تاريخ الطبري: (٣/١٥٨).

الإسلام؟ وكيف اشتد عوده؟ وكيف أصبح في عزٍّ ومنعة؟ وكيف خرج إلى العلن بعد أن كان محاطاً بالكتمان والضعف؟ بسبب قلة أتباعه، ولكونهم من المستضعفين، وأن أكثرهم من الموالي والعبيد، الواقعين تحت سلطان أسيادهم، والخاضعين لجبروتهم واستبدادهم.

## إسلام «حمزة بن عبد المطلب» ﷺ

كان المسلمون الأولون يعانون من جور قريش وطغيانها، وبغيها وعدوانها، وإذلالها وهوانها الشيء الكثير، مما اضطرتهم إلى ممارسة شعائر دينهم الحنيف في سرية ومعزل عن عيون قريش ورقبائها، واحتملوا ألوان البطش والعذاب، عارية أجسادهم في الشمس المحرقة، على الرمال الملتهبة، والصخور فوق صدورهم، يلقون بالسياط حيناً، وتكوى أجسامهم حيناً بأسياخ الحديد المحماة حتى تنبعث منهم روائح شواء تزكم الأنوف، وتثير في النفوس الغثيان، ولم يكن رسول الله ﷺ - يومئذ - يملك لهؤلاء المعذبين في الله إلا الدعاء إلى رب العزة ليثبتهم على دينه، وأن يأمرهم بالصبر والصدور أمام جبروت المتكبرين، أعداء الله والدين. وبدأت بوادر الفرج تظهر حين أسلم «حمزة بن عبد المطلب» عم رسول الله ﷺ، ولكن كيف هدى الله «حمزة» للإسلام، وجعله عدواً للأصنام، متكرراً لدين آبائه ومعتقدات أجداده؟

إن الجواب على تساؤلنا ذكره (ابن هشام) في «السيرة النبوية»<sup>(١)</sup> التي صنّفها، فلننصت لما قال: [قال ابن إسحاق: حدثني رجل من أسلم، كان واعية: أن «أبا جهل» مرّ برسول الله ﷺ عند الصفا، فأذاه وشمته، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ، ومولاة لعبد الله بن جُذعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة - في سكن لها - تسمع ذلك، ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ من قريش عند

(١) السيرة النبوية لابن هشام: (١/٣٣٨).

الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» ﷺ، أن أقبل متوشحاً قوسه، راجعاً من قنص له، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادر من قريش إلا وقف وسلّم، وتحدّث معهم، وكان أعزّ فتى في قريش، وأشدّ شكيمة، فلما مرّ بالمولاة، وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، قالت له:

يا أبا عمار! «لو رأيت ما لقي ابن أخيك «محمد» آنفاً من «أبي الحكم بن هشام» وجده هاهنا جالساً فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه، ولم يكلمه «محمد» ﷺ.

فاحتمل «حمزة» الغضب، لما أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى، ولم يقف على أحد، مُعِداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به؛ فلما دخل المسجد، نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه، رفع القوس، فضربه بها، فشجّه شجّة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه، أقول ما يقول؟ فردّد ذلك عليّ إن استطعت، فقامت رجال من بني مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل»؛ فقال «أبو جهل»: دعوا «أبا عمار»، فإنني، والله! قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتمّ «حمزة» على إسلامه، وعلى ما تابع عليه رسول الله ﷺ من قوله.

فلما أسلم «حمزة» عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عزّز وامتنع، وأن «حمزة» سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه].

وزاد غير ابن إسحاق في إسلام «حمزة» أنه قال:

لما احتملني الغضب، وقلت: أنا على قوله، أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي، وبتت من الشك في أمر عظيم، لا أكتحل بنوم، ثم أتيت الكعبة، وتضرعت إلى الله سبحانه! أن يشرح صدري للحق، ويذهب عني الريب، فما استتمت دعائي حتى زاح عني الباطل، وامتلاً قلبي يقيناً، فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما كان من أمري، فدعا لي بأن يثبتني الله.

و«حمزة» ﷺ، أخ لرسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعتها «ثوية»، وكانت مولاة لأبي لهب، عم رسول الله ﷺ، وحين أسلم «حمزة» ﷺ، قال آياتاً، منها:

حَمِدْتُ اللَّهَ حِينَ هَدَى فُوَادِي      إِلَى الْإِسْلَامِ وَالِدِينَ الْحَنِيفِ  
لِدِينِ جَاءَ مِنْ رَبِّ عَزِيزٍ      خَبِيرٍ بِالْعِبَادِ بِهِمْ لَطِيفِ  
إِذَا تَلَيْتَ رَسَائِلَهُ عَلَيْنَا      تَحَدَّرَ دَمْعُ ذِي اللَّبِّ الْحَصِيفِ  
رَسَائِلِ جَاءَ أَحْمَدُ مِنْ هِدَايَا      بِآيَاتِ مَبِينَةِ الْحُرُوفِ  
وفشا الإسلام، وأخذ ينمو ويشتد، وبات أتباعه في ازدياد، وراح الناس يدخلون في دين الله زرافاتٍ ووحداناً، إنه دين الحق ولا بد للحق من أن يعلو وينتصر ويبقى، لأن البقاء للأصلح، وآية صلاحه للناس أجمعين أنه ليس فكرة ابتدعها واحدٌ من البشر، ولكنه دين متكامل ارتضاه الله لخلقه، وجعله سبباً لسعادتهم في الدنيا، ونعيمهم في الآخرة، ومن أعلم من الخلاق بما يصلح لمن خلق! فتبارك الله أحسن الخالقين! قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْنْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ونحن قد رضينا بما رضيه الله لنا، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، عليها نحيا، وعليها نموت، وعليها نحشر يوم البعث والنشور، إن شاء الله تعالى، رب العرش العظيم!

ولئن كان إسلام «حمزة بن عبد المطلب» ﷺ قد أعطى الإسلام شحنة قوية، فإن الشحنة الأقوى لم تلبث أن وافته بإسلام «عمر بن الخطاب».

## إسلام «عمر بن الخطاب» ﷺ

كان «عمر بن الخطاب» شديداً على المسلمين إبان جاهليته، ما يفتأ يكد لهم، ويلحق بهم الأذى، وقد بلغت شدته عليهم غايتها، حين أزمع أن يفتك برسول الله ﷺ ويخلص قريشاً منه ويقضي على دعوته، ولكن لما أراد الله به من كرامته، هداه إلى الحق والرشاد، وجعله من أتباع خير العباد، ويات من صالحى المسلمين، وأحد المقربين من أشرف المرسلين، فكيف أسلم «عمر»؟ وكيف أصبح جباراً جاهلياً، جباراً فى الإسلام على أعدائه من المشركين، متواضعاً لنا على إخوانه من المؤمنين؟

أخرج «ابن هشام» فى سيرته حديثين عن إسلام «عمر بن الخطاب» ﷺ، من رواية ابن إسحاق<sup>(١)</sup>، أما الحديث الأول فهو: [قال ابن إسحاق: حدثني عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة، قالت:

والله! إنا لنترحل إلى أرض الحبشة، وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا، إذ أقبل «عمر بن الخطاب» حتى وقف عليّ، وهو على شركه، - قالت: وكنا نلقى منه البلاء أذى لنا وشدة علينا - قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله!. قالت: فقلت: نعم، والله! لنخرجن فى أرض الله، آذيتونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله مخرجاً.

(١) سيرة ابن هشام: (١/٣٨٠).

قالت: فقال: صحبكم الله، ورأيت له رقّة لم أكن أراها، ثم انصرف وقد أحزنه - فيما أرى - خروجنا.

قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبد الله! لو رأيت «عمر» أنفأ، ورقته وحزنه علينا، قال: أطمعت في إسلامه؟ قالت: قلت: نعم، قال: فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب؛ قالت: ياسأ منه، لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام]. وأما الحديث الآخر، فهو:

قال ابن إسحاق: [وكان إسلام «عمر» فيما بلغني أن أخته «فاطمة بنت الخطاب»، وكانت عند «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل»، وكانت قد أسلمت، وأسلم بعلها «سعيد بن زيد» وهما مستخفيان بإسلامهما من «عمر»، وكان «نُعَيْم بن عبد الله النَّحَّام» رجل من قومه، من بني «عدي بن كعب» قد أسلم، وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه. وكان «حَبَّاب بن الأرت» يختلف إلى «فاطمة بنت الخطاب» يقرئها القرآن، فخرج «عمر» يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله ﷺ، ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند «الصفاء»، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله ﷺ عمه «حمزة بن عبد المطلب» و«أبو بكر بن أبي قحافة الصديق» و«علي بن أبي طالب»، في رجال من المسلمين - ﷺ - ممن كان أقام مع رسول الله ﷺ بمكة، ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقه «نُعَيْم بن عبد الله»، فقال له، أين تريد يا «عمر»؟ فقال: أريد «محمدًا» هذا الصابيء الذي فرّق أمر قريش، وسفه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها، فأقتله.

فقال له «نُعَيْم»: والله! لقد غرّتك نفسك من نفسك يا «عمر»، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض، وقد قتلت «محمدًا»! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال: وأي أهل بيتي؟ قال: حَتْنُكَ وابن عمك «سعيد بن زيد بن

عمرو» وأختك «فاطمة بنت الخطاب» فقد والله أسلما، وتابعا «محمدأ» على دينه، فعليك بهما.

قال: فرجع «عمر» عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما «خَبَابُ بن الأرت» معه صحيفة، فيها: «طه» يقرئهما إياها، فلما سمعوا حسَّ «عمر»، تغيب «خَبَاب» في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت «فاطمة بنت الخطاب» الصحيفة فجعلتها تحت فخذها.

وقد سمع «عمر» حين دنا إلى البيت قراءة «خَبَاب» عليهما، فلما دخل قال: ما هذه الهينمة<sup>(١)</sup> التي سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئاً؛ قال: بلى والله! لقد أخبرت أنكما تابعتما «محمدأ» على دينه، وبطش بختنه «سعيد بن زيد» فقامت إليه أخته «فاطمة بنت الخطاب» لتكفه عن زوجها، فضربها فشجَّها، فلما فعل ذلك، قالت له أخته وختته: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى «عمر» ما بأخته من الدم، ندم على ما صنع، فارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون أنفاً أنظر ما هذا الذي جاء به «محمد»، وكان «عمر» كاتباً؛ فلما قال ذلك، قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بالكهتة ليردَّنها إذا قرأها إليها، فلما قال ذلك، طمعت في إسلامه، فقالت له: يا أخي، إنك نجس، على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحيفة، وفيها: «طه» فقرأها؛ فلما قرأ منها صدراً، قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

فلما سمع ذلك «خَبَابُ» خرج إليه، فقال له: يا «عمر»! والله! إنني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه، فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم! أئد الإسلام، بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب؛ فالله الله يا «عمر»!

(١) الهينمة: صوت الكلام غير المفهوم.

فقال له عند ذلك «عمر»: فدلّني يا «حَبَّابُ» على «محمد» حتى آتية فأسليم، فقال له «حَبَّابُ»: هو في بيت عند «الصفاء» معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ «عمر» سيفه فتوشّحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحاً بالسيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ، وهو قرع، فقال: يا رسول الله! هذا «عمر بن الخطاب» متوشحاً بالسيف، فقال «حمزة بن عبد المطلب»: فأذن له، فإن كان جاء يريد خيراً بذلناه له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه، فقال رسول الله ﷺ: ائذن له، فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حُجْرَتَهُ<sup>(١)</sup>، أو بمجمع ردايه، ثم جبّده<sup>(٢)</sup> به جبدة شديدة، وقال: ما جاء بك يا بن الخطاب؟ فوالله! ما أرى أن تنتهي حتى يُنزلَ الله بك قارعة<sup>(٣)</sup>. فقال «عمر»: يا رسول الله! جئت لأومن بالله وبرسوله، وبما جاء من عند الله.

قال: فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرةً عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن «عمر» قد أسلم.

فتفرّق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم «عمر» مع إسلام «حمزة» وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ، وينتصفون بهما من عدوهم، فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام «عمر بن الخطاب» حين أسلم. وذكر ابن سنجر في إسلام «عمر» ﷺ، قال:

حدثنا أبو المغيرة، قال: حدثنا صفوان بن عمرو قال: حدثني شريح بن عبيد، قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله ﷺ

(١) الحجزة: معقد الإزار.

(٢) جبّده: جبّده.

(٣) القارعة: المصبة.

قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقامت خلفه، فاستفتح سورة «الحاقة» فجعلت أتعجب من تأليف القرآن.

قال: قلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤١﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠، ٤١]، قال: قلت: كاهن علم مافي نفسي، فقال: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٢] إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع، ويذكرون أن «عمر» قال حين أسلم:

الحمد لله ذي المن الذي وجبت	له علينا أيادي مالها غيرُ
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا	صدق الحديث نبي عنده الخبرُ
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى	ربي عشية قالوا قد صبا عمرُ
وقد ندمت على ما كان من زللي	بظلمها حين تتلى عندها السورُ
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة	والدمع من عينها عجلان يبتدرُ
أيقنت أن الذي تدعوه خالقها	فكاد تسبقني من عبرة دررُ
فقلت: أشهد أن الله خالقنا	وأن أحمد فينا اليوم مشتهرُ
نبي صدق أتى بالحق من ثقةٍ	وافى الأمانة مافي عوده خورُ <sup>(١)</sup>

حقاً! إنها لأبيات تعبق برائحة الإيمان الزكية، وتنم عن حسن النية وصلاح الطوية، فهنيئاً لعمر لحوقه بركب خير البرية، المرسل رحمة للبشرية. وها هو ذا «ابن عمر» يحدثنا عن إسلام أبيه «عمر»: قال ابن إسحاق: وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر، عن ابن عمر، قال: لما أسلم أبي عمر قال: أيُّ قريش أنقل للحديث؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي<sup>(٢)</sup>، قال: فغدا عليه.

قال عبد الله بن عمر: فغدوت أتبع أثره، وأنظر ما يفعل، وأنا غلام

(١) انظر الروض الأنف للمهلي.

(٢) هو الشاعر المعروف بجميل بثينة.

أعقلُ كل ما رأيت، حتى جاءه، فقال له: أعلمتَ يا جميلُ أنني قد أسلمت، ودخلت في دين «محمد»؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه، وأتبعه «عمر» وأتبعته أبي، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش! وهم في أنديةهم حول الكعبة، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ. قال: ويقول «عمر» من خلفه: كذَّب، ولكنني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

وثاروا إليه، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم. قال: وطلِّح - أعياء - ففعد وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم، أو تركتموها لنا، قال: فبينما هم على ذلك، إذ أقبل شيخ عن قريش، عليه حلة حَبْرَة، وقميص مُوشَى، حتى وقف عليهم، فقال: ما شأنكم؟ قالوا: صبا «عمر»؛ فقال: فَمَهْ، رجل اختار لنفسه أمراً فماذا تريدون؟ أترون بني عدي بن كعب يُسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلُّوا عن الرجل، قال: فوالله! لكأنما كانوا ثوباً كُثِطَ عنه، قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ فقال: ذاك، أي بني! العاص بن وائل السهمي.

قال ابن هشام: وحدثني بعض أهل العلم، أنه قال: يا أبت! من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت، وهم يقاتلونك؟ جزاه الله خيراً، قال: يا بني! ذاك العاص بن وائل، لا جزاه الله خيراً.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الرحمن بن الحارث عن بعض «آل عمر»، أو بعض أهله، قال: قال «عمر»: لما أسلمت تلك الليلة، تذكرتُ أي أهل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوةً حتى آتبه فأخبره أنني قد أسلمت؟ قال: قلت: أبو جهل - وكان «عمر» لحنمة بنت هشام بن المغيرة - قال: فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه.

قال: فخرج إليَّ «أبو جهل» فقال: مرحباً وأهلاً بابن أختي، ما جاء

بك؟ قال: جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله «محمد» ﷺ، وصدقت بما جاء به، قال: فضرب الباب في وجهي، وقال: قَبَّحَكَ اللهُ، وَقَبَّحَ ما جئت به.

والحق أن إسلام «عمر بن الخطاب» ﷺ كان له وقعٌ على قريش أبعد أثراً من وقع الصاعقة، لما تعلم من بأسه وقوة شكيمة. لقد استجاب الله - جلَّ في علاه - لدعوة نبيه ﷺ، وأيد دينه بعمر، وأدخله واحة الإسلام الوارفة الظلال، وأصبح أهلها في أحسن حال. لقد نقل إسلام «عمر» مسيرة الإسلام من السر إلى العلانية، وخرج المسلمون من دار الأرقم في صفين يتقدم أولهما «حمزة بن عبد المطلب» ويتقدم ثانيهما (عمر بن الخطاب)، وأمامهم الحبيب الأعظم ﷺ، وكان هذا المشهد الخلاب أكبر تحدٍّ لمشركي قريش، وأكابر مجرميها، وبانت قريش من يومها تتجرع<sup>(١)</sup> أمر الكؤوس، ولم تجد غير أن تَصُبَّ جام غضبها على المستضعفين من المسلمين، وبخاصة مواليتها وعبودتها، فراحت تنكل بهم، وتتفنن في إيذائهم وتعذيبهم، حتى أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة، فأذن أصحابه بذلك، فبدءوا يغادرون مكة المكرمة إلى (يثرب) التي غير رسول الله ﷺ اسمها إلى (المدينة) بعد وصوله إليها، واستقراره فيها، وكان المهاجرون يخرجون في غفلة من سفهاء قريش، وبعيداً عن أعين رقبائها، إلا «عمر بن الخطاب» ﷺ فقد هاجر جهرة، تحت مسامح قريش وأبصارها، وتحداهم أن يلحقوا به، أو يحاولوا منعه، وأنذرهم سوء العاقبة إذا اعترضوا سبيله، فما خرج وراءه أحد، لما كانوا يعرفون من شدة بأسه وجبروته. وهاهو ذا «علي بن أبي طالب» يروي لنا ما صنعه «عمر» يوم هجرته، فيقول:

(ما علمت أن أحداً من المهاجرين هاجر إلا مستخفياً، إلا «عمر بن الخطاب»، فإنه لما همَّ بالهجرة، تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً - أي: أمسك -، واختصر عنزته - أي: وضع على خصره عصاً لها

(١) تتجرع: تشرب.

زُجَّ كالرمح الصغير - ومضى قِبَلَ الكعبة، والملا من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم اتجه إلى المقام فصلَّى، ثم وقف على الحِلَقِ واحدةً واحدةً يقول لهم: «شاهت الوجوه، لا يرغم الله - أي: لا يُذِلُّ - إلا هذه المعاطس - أي: الأنوف - ، من أراد أن يشكل أمه، ويوتم ولده، ويرمُلَ زوجته، فليقتني وراء هذا الوادي».

ثم انطلق «عمر» ومعه بعض المستضعفين الذين استتروا بقوته، وأتم هجرته، ولم يتبعه أحد من المشركين، لشدة مهابته. وجاء في قصيدة مطولة للشاعر «محمد راجي حسن كناس» عن مناقب الخلفاء الراشدين الأربعة - ﷺ - هذه الأبيات:

ويا أيها الفاروق يا نَجْرَ (١) عَزَّنَا      وأزهد مسؤلٍ بأرقى المناصبِ  
عليك سلام الله في كل بُكْرَةٍ      وحين تميل الشمس نحو المغاربِ  
أعزَّبك الإسلام ربي وسانه      ولولاك ما أضحى له عزُّ جانبِ  
رحم الله «عمر» رحمة واسعة، وكفاه قول سيد البشر: (لو كان بعدي نبي لكان عمر).

ونزل قول الله تعالى: ﴿وَقِيلُوا لَهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]. ثم غادر المهاجرون ديارهم في مكة المكرمة - حرسها الله تعالى، إلى المدينة - صانها الله تعالى، ثم لحق بهم رسول الله ﷺ وصاحبه «أبو بكر الصديق» ﷺ، وقد أعد الأنصار لأعز الضيوف أروع استقبال، ونزل ﷺ ضيفاً على «خالد بن زيد» المعروف بأبي أيوب الأنصاري، وبعد استراحة قصيرة عَيَّرَ اسم (يثرب) إلى (المدينة)، ثم أمر ببناء مسجده الشريف، وأخى بين المهاجرين والأنصار، وبدأ يرسي قواعد الدولة الإسلامية، وروح القدس (جبريل) ﷺ، رائح غداءً، بين الأرض والسماء، يأتيه بالوحي من رب العزة، ويبلغه أحكام الدين القويم.

(١) النَّجْرُ: الأصل.

## خبيّة قريش وعمائها لخروجه ﷺ من بينهم سالماً

ولما أعيّت قريشاً وسائل التعذيب التي أنزلوها بالمسلمين، تداعى زعماءها للتشاور بشأن النبي الكريم ﷺ، وما جرّته عليهم دعوته، وأدلى كل بدلوله خلال اجتماعهم في (دار الندوة) التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، فمنهم من رأى حبسه في الحديد، وإغلاق الباب عليه حتى يأتيه الموت، ومنهم من اقترح نفيه فيستريحون منه، ومنهم، ومنهم، حتى إذا تشعبت الآراء، وتباينت الأهواء، ولم يتفقوا على رأي، قال أخبثهم وأشقاهم «أبو جهل» - أخزاه الله - :

(والله! إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد! قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شاباً جلدأ، نسيباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه، فنستريح، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل كلها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً، ورضوا منا بالعقل - أي: الدية - فعقلناه لهم)<sup>(١)</sup>.

حقاً! إنها لفكرة خبيثة، لا تصدر إلا عن أخبث الخبيثاء. ومن أليق من «أبي جهل» بهذا الوصف المقيت؟

ورأقت لهم الفكرة، ثم تفرقوا وهم على تنفيذها مجمعون، ولم يخف أمرهم على الذي في السماء، فأرسل لرسوله ﷺ سفيره (جبريل) ﷺ

(١) انظر تاريخ الطبري: (٢/٣٧١).

بخبرهم، وقال: لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه! ولما أقبل الليل جاءوا إلى بابه ينتظرون متى ينام فيثبون عليه. فلما رآهم رسول الله ﷺ، أمر «علي بن أبي طالب» - ﷺ - أن ينام على فراشه، ويتشع ببرده الحضرمي الأخضر، حتى يظنوه رسول الله ﷺ وطمأنه بالأصوات التي يصرخ بها، وكيف يصل إليه ما يكرهه منهم، وهو ينفذ أمر من هو متصل بالسماء؟

يقول أبو جعفر الطبري<sup>(١)</sup> عن ابن حُميد، قال: [حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: حدثني يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي، قال: اجتمعوا له، وفيهم «أبو جهل بن هشام»، فقال وهم على بابه: إن «محمدًا» يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها. قال: وخرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال: نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات من يس: ﴿يَسَّ ۝١ وَالْفُرَّانِ الْمَكِيِّ ۝٢ إِنَّكَ لَإِنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَن صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمَنْ خَلْفَهُمْ سَدًّا فَأَفْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٦﴾ [يس: ١ - ٩]، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب، فاتاهم آت ممن لم يكن معهم، فقال: ما تنتظرون هاهنا؟ قالوا: «محمدًا»، قال: خبيبتكم الله! قد والله خرج عليكم «محمد»، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً، وانطلق لحاجته، أفما ترون ما بكم؟ قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون، فيرون (علياً) على الفراش متحجياً ببرد

(١) تاريخ الطبري: (٢/٣٧٢).

رسول الله ﷺ، فيقولون: والله! إن هذا «لمحمد» نائم، عليه برده، فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام (علي) عن الفراش، فقالوا: والله! لقد صدقنا الذي كان حدثنا، فكان مما نزل من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا له: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣١﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الطور: ٣٠ - ٣١].

وهكذا نجى الله تعالى نبيه ورسوله ﷺ، من مكر الماكرين، وغدر الغادرين، وإخوان الأبالسة والشياطين، وحق المكر السيء بأهله، والحمد لله رب العالمين.

## إعداد السرايا والجيوش لحرب الكفار والمشركين

وفي مدينة رسول الله ﷺ بدأ إعداد السرايا والجيوش لقتال الكفار والمشركين، وسائر أعداء الله والدين، حتى تختفي معالم الأصنام، وترتفع رايات الإسلام، وينتشر دين الله في كل مكان، ويبلغ نوره سائر البقاع والبلدان.

وكان بدء انطلاق السرايا والجيوش من المدينة المنورة في شهر رمضان المبارك من السنة الهجرية الأولى على رأس سبعة أشهر من مهاجر رسول الله ﷺ حيث عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض في ثلاثين من المهاجرين لعمه وأخيه «حمزة بن عبد المطلب» - ﷺ - ليعترض قافلة لقريش، فلقي «أبا جهل» على ساحل البحر الأحمر، في ثلاثمائة رجل، وكان «أبو مرثد» يحمل لواء «حمزة»، ولم ينشب بين الفريقين قتال لأن «مجدى بن عمرو الجهني» حجز بينهم، فافترقوا، ويَمَّ «أبو جهل» شطر مكة برجالها، وعاد «حمزة» مع أصحابه إلى المدينة. وفي شهر شوال من السنة ذاتها، عقد رسول الله ﷺ لواء أبيض لأبي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وأمره بالتوجه إلى «بطن رابغ» وكان مطح بن أثانة يحمل اللواء، فلما بلغ ثنية المُرّة - بناحية الجحفة - ومعه ستون من المهاجرين فحسب، التقوا بأبي سفيان بن حرب ومعه مائتان من المشركين، وكان ملتقاهم على ماء يدعى (أحياء). ووقع بين الطرفين تراشق بالسهم دون المسايقة - أي لم تستعمل السيوف في القتال - وذكر أن «سعد بن أبي وقاص» ﷺ رمى أول سهم في الإسلام يومئذ.